

العنوان:	في المعرفة التاريخية
المصدر:	عالم الكتاب
الناشر:	الهيئة المصرية العامة للكتاب
المؤلف الرئيسي:	كاسيرير، أرنست
مؤلفين آخرين:	إسماعيل، عز الدين، محمود، أحمد حمدي(عارض، مترجم)
المجلد/العدد:	ع 57
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	1998
الشهر:	مارس
الصفحات:	154 - 156
رقم MD:	484187
نوع المحتوى:	عروض كتب
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	المعرفة التاريخية، عرض و تحليل الكتب ، كتابة التاريخ ، الفكر الفلسفي، الفلاسفة الألمان ، هردر ، يوهان جوتفريد
رابط:	https://search.mandumah.com/Record/484187

© 2020 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

العروض الموقعة

عزالدين إسماعيل

فى المعرفة التاريخية

● فى المعرفة التاريخية/ أرنست كاسيرر؛ ترجمة أحمد حمدى محمود. ـ ط 2. ـ [القاهرة]: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997. ـ 132 ص؛ 23 سم.

كان فى إطار مجموعة الألف الكتاب الثانية المتميزة. تعودنا أن نحظى بين الحين والآخر بوجبة تاريخية متميزة. والمثال على ذلك هو ذلك الكتاب الذى بين أيدينا. والذى يتناول قضية من أهم القضايا التاريخية المعاصرة. وهى قضية النزعة التاريخية والتى لا ترى فى التاريخ مجرد مجرى خارجى لحشد الأحداث. بل ترى فى دراسته وسيلة إلى استشفاف روحه. فهو وحده الذى يستطيع أن يكشف الروح الكامنة وراء أحجبة تلك الأحداث. ويبدأ أرنست كاسيرر عرضه لهذه القضية عند بزوغ النزعة التاريخية عند هردر، ثم يناقش قضايا الرومانتيكية وبداية العلم النقدى للتاريخ. وكذلك قضية الوضعية ومثلها الخاصة بالمعرفة التاريخية والنظرية السياسية. والدستورية كأساس للكتابة التاريخية، وأخيرا يناقش تأثير تاريخ الدين على مثل المعرفة التاريخية.

بزوغ النزعة التاريخية:ـ

يقول المؤلف: إن هناك اعتقاد شائع يتكرر دائما وهو أن القرن التاسع عشر لم يكن قرنا تاريخيا فحسب، بل إن هذه السمة وهى التاريخية هى التى تميزه تميزاً تاماً عن العصور السالفة له. وهو سبب مقنع لشهرة هذا القرن. لذلك كان لاكتشاف العلماء للاتجاه الجديد للتفكير التاريخى أحد السمات المميزة لهذا القرن. والفضل يعود فى ذلك إلى هردر. الذى جعل من التاريخ ليس سلسلة من الأحداث. بل أصبح دراما باطنية للعنصر الإنسانى نفسة. فالأحداث أصبحت هامة تحفظ بقدر استطاعتها الكشف عن الطبيعة الانسانية، وإزالة الحجب عنها. كما أصبح كل ما حدث فى الماضى رمزاً، وعن طريق الرمز وحده يمكن فهم طبيعة الانسان والتعبير عنها، وكما قال هردر فى كتابه عن هذا الاتجاه الجديد.

«إن كتابى عن الروح الانسانية. سيأتى حافلاً بالمشاهدات والتجارب، وكم أتوق إلى أن أكتبه كإنسان وللإنسانية.. إن كتابى سيعلم وسيهذب، إنه سيكون منطقا حيا وعلم حال، وتاريخا، وفنا، سيقدم فنا رفيعاً راقيا، وسوف يستخلص علما من كل ملكة من ملكات العقل، ويصنع من كل هذه الأشياء تاريخاً عاما للمعرفة والعلم، وتاريخاً عاما للروح الانسانية. من خلال العصور وخلال جميع الشعوب. فياله من كتاب. وهذا الاتجاه الجديد تشبث به المؤرخ. «رانكه» تشبثا قويا بكلمات قائلها. «إن جميع الاجيال تتساوى فى مكانتها عند الله وأن المؤرخ مطالب بأن يرى الأشياء بهذه الطريقة، اذا ليس هناك توقف فى الاستمرار بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، أى بين الاستناره والرومانتيكية، بل هناك نقط اتجاه تعترى. لينتز، وشافتسيرى، إلى هردر ومنه إلى رانكه.

نظرية الأفكار التاريخية : ـ

ومن المستحيل إنكار دور الرومانتيكية فى جعل التفكير التاريخى مثمراً إلى درجة غير عادية. ويعتبر ما تحقق فى هذا الشأن من أهم النتائج الفكرية التى حققتها الرومانتيكية. لذا فقد أصبحت صيحة المعركة للكتابة التاريخية الحديثة هى «عودوا إلى الرومانتيكية»، «وقد عارض البعض تلك النظرية بأن تلك النظرية قد تمت على يد أناس لم تكن لديهم سوى دراية ضئيلة بالتاريخ، فأجمع الرأى التاريخى السياسى الرومانتيكى بغير فائدة على الاطلاق. ولكن بالرغم من ذلك يعتبر أنصارها ـ من الكتاب عادة أفضل خصائصها وأكثرها جوهرية، لما أمكنها الثبات طويلا فى العالم الثقافى، ويرجع ثباتها فى كل من التاريخ الفكرى العام إلى أنها كانت كذلك بحثا فى المعرفة، وأنها قدمت أداة خاصة بها وهى أداة النقد التاريخى الحديث. وفى هذا السبيل عملت الرومانتيكية جنبا إلى جنب بجوار أفكار الاستنارة. ومن هذا يتضح وجود طريق مباشر و مستمر ومتصل بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. ويتحتم علينا لذلك أن نشيد بمزايا الرومانتيكية الباقية. فقد ظلت آثارها يانعة فى عالم الحضارة، فقد أقامت أفضل العقول فى العصر الرومانتيكى حداً فاصلاً بين العلم والأسطورية، وقد وضح هذا فى تعقيب ياكوب وفيلهيلم حينما أكدوا على التفرقة بين المصادر التاريخية من ناحية والمصادر الخرافية والشاعرية أو الاسطورية من ناحية أخرى. فكل التاريخ الموثوق به يعتمد على مثل هذه التفرقة. إن جميع الحقائق التاريخية تتضمن السؤال البسيط الخاص بهل حدث شئ معين بالفعل أو لم يحدث؟ وهل اتبع هذا الشئ الوسيلة التى ذكرت أو أنة قد اتبع وسيلة أخرى؟.

الوضعية ومثلها الخاص بالمعرفة التاريخية : ـ

ويبدو أن تلك النظرية التى تزعمها تين كانت عرضة للهجوم عليها من كل من أصحاب النظريات الأخرى أمثال هبولت ورانكة، والوضعية التاريخية هى تعنى الواقعية التاريخية، وأنه لا يمكن فهم الكل إلا بفهم الجزء ما وأن الشئ المهم هو ضرورة احترام الواقع ومراعاتة. كما أكد كونت على ضرورة التحالف والإدماج بين التاريخ، وعلم الطبيعة. وقد شرح البعض مفهوم الوضعية بالآتى «إن الوقائع هى مايريده المؤرخ. ولا شئ غير الوقائع. والوقائع لا يمكن أن تكون سوى البداية . وأنها ليست غاية. فإن أية مجموعة من الوقائع لا يمكن أن تكون وحدها علما. فالقاعدة تقول بعد جمع الوقائع ابحث عن الصلة بعد ذلك. ولكن لا ينبغى الا يظل هناك وسيلتان مختلفتان للبحث عن العلل، فمن الواجب الا يترك المؤرخ العالم الحسى ليبحث عن الاسباب الحقيقية والنهائية للوقائع فى عالم مثالى. بل عليه أن يدع الظواهر تتحدث عن نفسها وتفسر نفسها. ومن ثم فقد لا يمكن أن توجد أى معايير قبلية من أى نوع . وكذلك أى شعور بالتعاطف الشخصى أو النفور. فعندما كتب البعض عن الوضعية قالوا إن الوضعية هى الترجمة الحقيقية للواقعية. كنظرية للكتابة التاريخية.

وقد ذاعت هذه المبادئ الأساسية للفلسفة الوضعية على نطاق واسع بين كل من المؤلفين البريطانيين والفرنسيين بفضل جهود كل من «بكل» و «تين»، كما أحدثت تأثيرا قوياً ومتزايداً، واتخذت هذه المبادئ طريقها إلى ألمانيا كذلك. وإن كانت لم تعامل بمثل هذا التأييد فقط.

وظهرت فى هذه الآونة النظرية السياسية والدستورية كأساس للكتابة التاريخية بالمنيا. وهكذا أخذ الكاتب ينتقل بنا من نظرية إلى أخرى فى الكتابة التاريخية، وهكذا ظهر أن الصراع العنيف والطويل الذى نشب فى النصف الأخير من القرن التاسع عشر بين الواقعيين والتاريخ السياسى، وأنصار التاريخ العام للحضارة لأول وهلة مسألة من المسائل البارزة التى جرت فى غير وقتها، وقد نشبت فى هذا القرن مشاحنات متكررة حول مشكلات كان من المعتقد أنه قد تم حسمها من قبل، وقد ثبت أن القرن الثامن عشر قد تمتع بالحاسة التاريخية واستطاع أن يحقق تقدما فى هذا الشأن. وقد أدرك فولتير قصور الكتابة التاريخية على السياسة وحدها. وذكر أن التاريخ لن يكون فقط بيانا عن المعارك والعمليات الحربية. وعن المؤامرات والدسائس الدبلوماسية والسياسية، بل ينبغى عليه أن يشرح السياق الفكرى بأكمله فإلى جانب الأحداث السياسية عليه أن يرسم صورة لتقدم الاتجاهات الفكرية. وكذلك الميول الادبية والفنية لكل عصر. وعليه فى النهاية. أن يعرض نظرية عامة للحياة الخلقية بأسرها فى العصر.

وقد جاءت بعد ذلك نظرية النماذج السيكولوجية فى التاريخ والتى تزعمها لا ميرخت. ثم عرض لنا المؤلف تأثير الدين على المعرفة التاريخية بأقلام كل من شتراوس. ورينان وغيرهم وخاصة وأن الكنيسة فى أوربا قد سيطرت سيطرة تامة على النواحى السياسية والاجتماعية والاقتصادية. على مدى فترات طويلة من تاريخ أوروبا. لذلك فالقارئ لتاريخ أوربا. خلال العصور الوسطى والتاريخ المعاصر يجده فى معظمه هو تاريخ الحركة الريفية. ومسيرتها وتأثيرها على الشعوب الأوربية. والحكام والملوك، والأمراء فى أوربا. هذا

العروض الموقعة

التاثير الذى بلغ حد السيطرة الكاملة. على مقاليد الأمور فى كل الاتجاهات الحياتية حتى النواحى العسكرية، والأمثلة التاريخية متعددة على هذه السيطرة الكاملة. وأولها الحملات الصليبية على الشرق العربى الإسلامى، ثم الحملات الاستعمارية، الاوربية المتوالية خلال القرن الثامن عشر والتاسع عشر والعشرين للسيطرة السياسية والعسكرية تحت ستار الدافع الدينى ومحاربة الوثنية. وقد انعكس هذا التأثير كذلك على كتابات المورخين الأوربيين. الذين اتصفت كتاباتهم بالنزعة الدينية البحتة.

ونحن اذا توقفنا عند هذه النقطة نجد أن الفضل الانسانى قد انصب منه كافة النواحى. وفرة من المواد. لم يكن مستطاعًا السيطرة عليها باتباع هذه الوسيلة، وبدا أنه لا مفر ولا خلاص لمواجهة هذا الموقف إلا باللجوء إلى الوقائع المنعزلة وإلى اتباع التخصص، وذهب فضل المعرفة فى هذا السبيل بعيداً. حتى بدا أن كل مجموعة من الواقع تكون علما متفردا. وأن جميع هذه العلوم ترتبط بعضها ببعض فى نفس الوقت بأوهى الروابط. وفى هذه اللحظة التى زاد فيها خطر تفتيت المعرفة. أظهرت النزعة التاريخية قدرتها على التعزيز والتدعيم والتوكيد، فليس من شك فى أن هذه النزعة التاريخية قد سعت نحو الوحدة فى مجال آخر. وحاولت المحافظة على هذه الوحدة باتباع وسائل أخرى، ولم تعد النزعة التاريخية ترى الوجود فى الغيبيات. أو الفكرة المطلقة بل إنها أرادت أن تتشبث بهذا الوجود فقط فى العقل الانسانى، وفى الانسانية جمعاء. كانت هذه هى المسألة الكبرى، التى لم تساهم فلسفة التاريخ وحدها فى انجازها. بل شارك فيها كذلك علم التاريخ مشاركة واضحة. وقد اتجه العلم التاريخى نفسة بالطبع فى عدة اتجاهات مختلفة. وهى وان كانت مختلفة ظاهريا، الا أنها كلها كانت تسعى وراء نفس الغاية.

والكتاب يتناول فى مجموعه عدة نظريات فلسفية لكتابة التاريخ ظهرت خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. وقد تناول الكاتب كل نظرية من هذه النظريات بطريقة مفصلة. شارحا محتوى ومفهوم تلك النظرية ومؤلفيها ومدى انتشارها، وتعارضها مع النظريات الأخرى، وأهميتها. كما تناول المؤلف خلال صفحات هذا الكتاب أهمية الكتابة التاريخية. وعلم التاريخ. بالنسبة لبقية العلوم، واعتبر أن التاريخ هو أبو العلوم، وأن التاريخ ليس هو فقط تاريخ حكام وسلاطين، بل تاريخ شعوب، وكما أوضح المؤلف أن التاريخ الاجتماعى لا يمكن أن ينفصل عن التاريخ السياسى أو الدينى. كذلك ارتبط التاريخ بالمعرفة البشرية ككل.

ومن الضرورى الإشارة إلى الاسلوب الفلسفى الشيق الذى عرض به المؤلف نظرياته، ومدى عمقه. واتباعه للنهج التاريخى فى عرض أفكاره ونظرياته، فإن الكتاب موثق وقد اعتمد على العديد من المصادر التاريخية الهامة، كما يحسب للمولف أنه حاول أن يعرض فى ايجاز دون نقصان كل النظريات الفلسفية فى كتابة التاريخ وتطورها. والكتاب فى مجموعه يعد وثيقة تاريخية هامة وإضافة متميزة لما ترجم عن التاريخ فى المكتبة العربية. وهو كتاب هام يصلح لكل متخصص فى التاريخ، كما ينبغى أن نثنى على المترجم الذى حاول قدر الامكان نقل كل ما يقوله المؤلف بأمانة ودون تحريف. ●